﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾ [المائدة: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى أنَّه أخذَ ميثاقَ بَنِي إسرائيلَ، وبعث فيهم رُسُلًا، وبيَّن عُتُوَّهم وشدَّةَ تمرُّدِهم، وما كان مِن سُوءِ معاملتِهم معَ أنبيائِهم، وعدَّد قبائحَ اليهودِ ومَخازِيَهُم؛ شرعَ يُفصِّلُ قبائحَ النَّصارى، ويُبْطِلُ أقوالَهم الفاسدةَ، وآراءَهم الزَّائفةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَرَّمَ﴾: يَدُور معنى الحُرْمَة في حيِّز ممنوعٍ تابع لشيء، مع التَّشديدِ في المنعِ، ومنه: حَرَمُ الرَّجلِ وَحريمُه: ما يُقاتل عنه ويحميه، وحَرَمَهُ الشَّيءَ: منعه إيَّاه ممَّا هو مطموعٌ فيه، وأحْرَمْتُ عن الشَّيء: أمسكتُ عنه، وحرَّمَ اللهُ كذا، أي: منعَ من انتهاكِه أو جعلَه ممنوعًا، والحرام: نقيض الحلال، والحَرَمَان: مكَّةُ والمدينةُ، سُمِّيا بذَلِكَ لحُرمَتِهما[2]، و﴿حَرَّمَ﴾ في الآيةِ بمعنى: مَنْعِهم مِن دخولِ الجنَّة مع التَّشديد فِيهِ، فالتَّحريم هنا مِن جِهَةِ القَهْرِ، وليسَ مِن جِهَةِ الحُكْمِ الشَّرعِيِّ[3].

2) ﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾: يدور معنى (أَوَى) علَى الضَّمِّ والتَّجمُّع، وفيه معنى: العودِ والرُّجوع مع الحاجةِ إليه، ومنه تأوَّتِ الطَّيرُ؛ إذا انضمَّ بعضُها إلى بعض، وأَوَيْتُ إلى مَنْزلي، أي: عدتُ، أَوَيْتُ فُلَانًا؛ إذا أَنزلته بِكَ، والمأوى: مكانُ كلِّ شيء يُؤْوَى إليه ليلًا أو نهارًا، أو المحلُّ المُعَدُّ الَّذي يسكنه المرء، ويرجع إليهِ[4].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/65، والهرري، حدائق الروح والريحان: 7/418.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (أوى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حرم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (أوى).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التَّأكيد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾:

إنكارُ اعتقاد النَّصارى بإقامتِهم مقامَ المنكرين لكفرِهم

أخبر اللهُ تعالى عن كفرِ النَّصارى مؤكِّدًا إخبارَه بمؤكِّدَيْنِ: وهما: اللَّامُ الموطِّئةُ للقسمِ و(قَدْ)، فأقامَهم مقامَ المُنْكِرينَ لكفرِهم، وأنَّهم كانوا يَعْتَقِدُون أنَّهم على الحقِّ فيما قالُوه تماديًا في غيِّهم وضلالِهم، فلمَّا جاءَ الكلامُ مؤكَّدًا بمؤكِّدَيْنِ؛ دلَّ على إنكارِ اعتقادِهم وقولِهم، وإرادةِ ردِّهم إلى خلاف ما اعتقدوه مِن توحيد اللهِ وعبادته وحدَهُ[1].

دلالة الفعل ﴿قَالُوٓاْ﴾:

ذكر اللهُ تعالى الحكمَ بكفرِهِمْ في صَدْرِ الآية؛ لأنَّهم قالوا: هذا القولَ، على جهة التَّدَيُّنِ به واعتقاده؛ ولهذا تتابعتِ التَّأكيداتُ في هذا القولِ، ولو قالُوهُ على جِهَةِ الحكاية مُنْكِرينَ له؛ لَم يَكْفُرُوا[2].

بلاغة تتابع التَّأكيدات في قول الكفر:

كان النَّصارى يعتقدون ألوهيَّة الله تعالى، وأشركوا به سبحانه

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾، وفي مقالتِهم المحكيَّةِ عَنْهُمْ قد جاؤُوا باللَّفْظِ الْأَبْلَغِ؛ لتأكيدِ اعْتِقَادِهِم القَبيح، فجاء تأكيدُ مضمونِ الخبرِ مِن ثلاثةِ أوجه:

أوَّلهَا: قصرُ الإسناد في جعلهم اللهَ هُو المسيحَ ابنَ مريم، وفيه إشعارٌ بأنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ اللهَ هُو الإله الحقُّ، ولهذا نسبوا المسيحَ إلَيْهِ على أنَّه إلهٌ، وأنَّه هو اللهُ، تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

ثانيهَا: تأكيدُ القصرِ بالبِنَاءِ علَى ضمير الفصلِ الذي يؤكِّد الإسناد، ويقرِّره.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 171.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 7/313.

ثالثُها: التَّأكيد المدلول عليه بـ ﴿إِنَّ﴾، وهو مفيدٌ تقويةَ القصرِ كذلك[1].

نكتة نسبة المسيح إلى بُنُوَّتِه لمريمَ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾:

في التَّعبير بنسبةِ المسيح ﷺ إلى أمِّه إشعارٌ بأنَّهم كفروا كفرَ مكابرةٍ ومعاندة، لا كفرَ شبهةٍ وجَهْلٍ، وفيه إشارة جليَّةٌ إلى كمال حُمْقِهِم؛ لأنَّهم أقرُّوا أنَّه ابنُ مريم، حيثُ جعلوا الأصغرَ إلهَ الأكبرِ ورَبًّا له[2].

كفرُ النَّصارى كفرُ مكابرةٍ ومعاندةٍ، لا كفرُ شُبهةٍ وجَهلٍ

مناسبة ذكر قولِ عيسى ﷺ:

ذُكرَ قولُ عيسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ للرَّدِّ عَلَيْهِمْ في فَسَادِ دَعْوَاهُمْ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِي يُعَظِّمُونَهُ، وَيَرْفَعُونَ قَدْرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ هو الَّذي يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَقَالَتَهُمْ، ففيه أبلغُ دليلٍ على كذبِ ما قالوه[3].

الَّذِي يُعَظِّمُه النَّصارى، وَيَرْفَعُونَ قَدْرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ هو الَّذي يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مَقَالَتَهُمْ

بلاغةُ مجيءِ الكلامِ على خلافِ مقتضَى الظَّاهر:

جاء الكلامُ من غيرِ تأكيدٍ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾، مع أنَّهم كانوا مُنْكِرين لوحدانيَّة الله، فأنزلهم منزلةَ غيرِ المنكِرينَ؛ للإيذانِ بأنَّ وحدانيَّةَ اللهِ تعالَى لا تفتَقِرُ إلى دليلٍ لوضوحِ الأمرِ، وأنَّه كالشَّمسِ في رائِعَةِ النَّهار، وإنَّما يشركونَ باللهِ لجهلِهم باللهِ تعالَى وتَعَنُّتِهم وعنادِهم[4].

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ﴾:

لَمَّا كانتِ الواوُ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ حاليَّةً، والجملةُ بعدَها حالًا من فاعل ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ دلَّ على اقترانِ قولِ عيسى ﷺ

إيرادُ الحجَّة والدَّليلِ على بطلانِ قولِ النَّصارى

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/103.
(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 7/527.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 4/329.
(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 172.

بقولِهم، وأنَّهم كانوا يقولون قولَ الكفر في حالِ أمرِ عيسى ﷺ لهم بعبادة اللَّه وحده، فجاء الحالُ لمزيد تقبيحِ حالهم وقولِهم ببيان تكذيبهم لِلْمَسِيح وعدَم انْزِجَارِهم عمَّا أصَرُّوا عليه بما أَوْعَدَهُم بِهِ، أي: قالوا ذلك، والحالُ أنَّ المسيح قد قالَ ضِدَّ ذلك مُخَاطِبًا لَهُمْ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾؛ لِتكونَ الجملةُ الحاليَّةُ بمنزِلَةِ الحجَّةِ والدَّليلِ الظَّاهرِ على بُطلانِ قولِهمْ[1].

نكتةُ مجيءِ النِّداء في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾:

تنبيه النَّصارى إلى ما كان عليه إسرائيلُ ﷺ من توحيدِ الله وعبادتِه

لَمَّا كانَ كفرُ النَّصارى عظيمًا ومهولًا، وكان قولُهم مخالفًا لِمَا تَوَارَثُوه ممَّا كانَ عليه أسلافُهم؛ جاءَ بالنِّداء بـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ تنبيهًا على وجوبِ نبذِ كفرِهم، والتَّمسُّكِ بما كان عليه يعقوبُ ﷺ من توحيدِ اللَّهِ وعبادتِه، وتذكيرًا به.

نكتة مجيء البدل في قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾:

جاء البدلُ في قَوْلِه تعالَى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾؛ لِيَكونَ بمجموعِ البدلِ والمبدلِ مِنْهُ كمالُ الإيضاح والبيانِ فيمَنْ يستحقُّ العبوديَّةَ، وذكرَ: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾؛ للتَّنبيهِ عَلَى الْوَصْفِ الْمُوجِبِ لِلْعِبَادَةِ، وَهُوَ الرُّبُوبِيَّةُ[2]، وهذه طريقةٌ سلَكَهَا القرآنُ الكريم كثيرًا في الاحتجاجِ على استحقاقِ اللَّه تعالى العبادَةَ بانفرادِهِ بالرُّبوبيَّةِ.

دلالة الإضافة في قوله تعالى: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾:

اللَّه تعالى ربُّ عيسى وربُّ النَّاسِ أجمعين

الإضافة في ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ على معنى اللَّام، والمعنى: اللَّه ربٌّ لي وربٌّ لكم، لِلإشعارِ بأنَّه ﷺ مثلهم في كونه مخلوقًا مربوبًا؛ وإنْ منَّ اللَّه عليه بالرِّسالةِ، وفضَّلَه على كثيرٍ من عباده[3].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/646، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/65، ورضا، تفسير المنار: 6/40.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 4/329.
(3) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 7/527.

دلالة قولِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾:

في الكلامِ أَعْظَمُ رَدْعٍ عَنْ عِبَادَةِ عيسى عليه السلام

تَحْتَمِل هذه الجملةُ أنْ تكونَ من تتمَّة قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، وَفِيهِ أَعْظَمُ رَدْعٍ مِنْهُ عَنْ عِبَادَتِه؛ إِذْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللهِ مَنَعَهُ اللهُ دَارَ مَنْ وحَّده بِالْعِبَادَةِ، وَجَعَلَ مَأْوَاهُ النَّارَ.

وتَحتَمِل أنْ تكونَ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، على الاسْتِئْنَافِ البيانيِّ، كأنَّه قيل: فما هو حكمُ اللهِ يومَ القيامةِ فيمن يقولُ هذا القولَ؟ فأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ[1].

دلالة (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

أفادت (إنَّ) تعليلَ المفهوم مِنَ الكلام، فإنَّه لَمَّا كانَ قولُهم القبيحُ شركًا باللهِ تعالى؛ كانت (إنَّ) في مقام التَّعليل لِجَزَائِهِم على إِشْرَاكِهِم باللهِ، كما أفادت تأكيدَ الشَّرطِ وجزائه[2].

نكتة التَّعبير بضمير الشَّأن في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ﴾:

تَهْوِيلُ شأنِ مَنْ يشركُ باللهِ وتعظيمُ خطرِ ما سَيُلَاقيه

عُبِّرَ بضمير الشَّأنِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وهو من الأسماء المبهمة، والقصدُ بهذا الإبهام ثُمَّ تفسيرُه بعدُ بِجُمْلَةِ الشَّرط والجزاء: تعظيمُ أمرِ الإشراكِ باللهِ تعالى وتفخيمُ الجزاءِ الَّذي أعدَّه لِمَنْ يُشركُ به سبحانَه، وفيه إشعارٌ بأنَّ مضمونَ جملةِ الشَّرط والجزاءِ المفسِّرةِ لضميرِ الشَّأنِ شيءٌ عظيمٌ يُعتَنَى به، وهذا الضَّميرُ كأنَّه راجعٌ في الحقيقةِ إلى المسؤولِ عنه بسؤالٍ مقدَّرٍ، كأنَّه لَمَّا سَمِعَ سامعٌ ما حكمَ اللهُ بِهِ عليهم مِنْ كفرِهم وقولِهمُ البُهتانَ؛ استبهمَ الأمرَ، فسألَ سائلٌ: ما شأنُهم يومَ القيامةِ؟ وما أمرُهم فيه؟ فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾، فكأنَّ جملةَ الشَّرطِ والجزاء عَيَّنَتِ المسؤولَ عنهُ وبيَّنتْه، ففيه تشويقٌ إلى معرفةِ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/249، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/329.
(2) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 7/527.

حالهم يومَ القيامة؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا كان مبهمًا؛ فالنُّفوسُ تتطلَّعُ إلى فهمِه، وتتشوَّقُ إلى بيانِه، كما أفادتِ الجملةُ المفسِّرةُ (جملة الشَّرطِ والجزاءِ): تقريرَ المعنى وتأكيدَه، فإنَّ الكلامَ على معنى التَّكريرِ؛ لوقوعِها موقعَ البيانِ[1].

دلالة اسم الشَّرط ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

كلُّ مَنْ يشركُ باللهِ فقد حرَّم اللهُ عليه الجنَّةَ ومأواه النَّار

يفيد اسمُ الشَّرطِ ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾: العمومَ، والمعنى: كلُّ مَنْ يشركُ باللهِ؛ فقد حرَّم اللهُ عليه الجنَّةَ، ومأواه النَّار، ويدخلُ فيه النَّصارى - الَّذين قالوا القولَ القبيحَ - دخولًا أوَّليًّا؛ لذكرِه في سياقِ تقبيحِ قولِهم.

نكتة التَّعبير بلفظِ ﴿يُشۡرِكۡ﴾:

جَمَعَ النَّصارى أقبحَ وَصْفَيْنِ: الكفرَ باللهِ تعالى والإشراكَ به سبحانه

في التَّعبير بلفظ الإشراك في قوله تعالى: ﴿يُشۡرِكۡ﴾ إعلامٌ بأنَّ قولَهم المذكور وُصِفَ بوصْفَيْن: فقد وُصِفَ بالكفر أوَّلًا، ثمَّ دخل في وصف الشَّرك ثانيًا، فكان جامعًا قبيحَ الأوصاف؛ ليناسب عظيمَ الجزاء يومَ القيامة، وسيأتي ذكرُ وَصْفِهم بالظَّالمين أيضًا.

بلاغةُ حذف المفعول في قوله: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾:

الإشراكُ باللهِ يعمُّ جميعَ ما للهِ تعالى من حقوقٍ

حُذف مفعول ﴿يُشۡرِكۡ﴾؛ لإفادة عموم الإشراك، والمعنى: مَن يُشْرِكْ باللهِ أيَّ شيءٍ، صغيرًا أو كبيرًا، إنسانًا أو حيوانًا وهكذا، وفي ذلك إيذانٌ بتَعْميم المحذوف، والمعنى: مَن يُشْرِك باللهِ شيئًا في ربوبيَّتِه أو عبادتِه أو فيما يختصُّ بِهِ مِن صِفَاتِ الجلال والجمال والكمَالِ[2].

مناسبة الجزاء للشَّرط في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾:

في جملة الجزاء نِكَاتٌ لغويَّةٌ وبلاغيَّةٌ:

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 2/335، والرَّضي، شرح الرضي على الكافية: 3/69.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/65.

أُولَاها: لَمَّا كان مَنْ يشركُ باللّه تعالى قد انتهكَ حرمةَ اللّه في أنْ نسبَ إليه الشَّريكَ؛ كان الجزاءُ بما يناسبُ عملَه، فقالَ: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، ففي التَّعبير بـ﴿حَرَّمَ﴾ إيذانٌ بمنع دخولِ الجنَّة منعًا مشدَّدًا، فلنْ يدخلَها أبدًا، كما لا يصلُ المحرَّمُ عليهِ إلى المحرَّم.

الجزاءُ من جنسِ العملِ

ثانيهَا: لَمَّا كان تحريم دخولِهم الجنَّة بسببِ إشراكهم باللّه تعالى؛ دلَّ على أنَّ الجنَّة إنَّما هي دار الموحِّدين.

الجنَّةُ دارُ الموحِّدينَ

ثالثُهَا: جيءَ في جملةِ الجزاء بصيغة الفعل الماضي؛ للإشارة إلى الْقَطْعِ بمنعِ دخولهم الجنَّةَ، وأنَّه صار أمرًا ثابتًا، فهو مِن مَجِيءِ الكلامِ على خلافِ مقتضى الظَّاهر.

رابعُهَا: في التَّعبير بالتَّحريم إشعارٌ بطمعِهم في دخولِها، ففيه تبكيتٌ لهم ومرارةٌ في قلوبِهم لمنعهم ممَّا طمعوا فيه.

منعُ الطَّامعِ في دخولِ الجنَّة من دخولِها عذابٌ آخَرُ يضافُ إلى عذابِه

خامسُهَا: لَمَّا كان لا بدَّ من مأوى يأوي إليه في الآخرة؛ عطفَ في الجزاءِ ذكرَ المأوى الَّذي يقابل الجنّة، فقال: ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ على سبيلِ المطابقة بين الجنَّة والنَّار.

سادسُهَا: ذهب بعض أهل العلم إلى حَمْلِ لفظ ﴿حَرَّمَ﴾ على المعنى الشَّرعي؛ ليكون اللَّفظ استعارةً تبعيَّة لقصدِ المنع من دخولِ الجنَّة؛ إذْ لا تَكْليفَ يومَ القيامة[1].

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

تفيد الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ التَّعقيبَ، بمعنى: أَنَّ مَن يُشركُ باللّه يَعْقُبُ إشراكَه تحريمُ الجنَّة عليه، ويكونُ مأواه النَّارَ مِن غيرِ مهلةٍ، كما أفادت الفاء السَّببيَّة بمعنى: ترتُّب تحريم الجنَّة والإيواء في النَّار على إشراكه باللّه تعالَى.

ترتُّبُ تحريمِ الجنَّة والإيواءِ في النَّار على الإشراكِ باللّه تعالى

(1) الآلوسي، روح المعاني: 3/372.

نكتةُ تعليق التَّحريم على الذَّات في قوله سبحانه: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

منعُ الجنَّةِ على ذاتِ المشركِ أبلغُ مِـنَ المَنْـعِ مِن مجرَّدِ دخولِها

لَمَّا كان الظَّاهر أنْ يكونَ تعليقُ تحريم المكانِ على الدُّخولِ فيها، أي: أنْ يكون المعنى: حرَّمَ اللهُ دخولَ الجنَّةِ عليه؛ دلَّ على أنَّ منعَ المكانِ على الذَّاتِ أبلغُ مِن المنعِ من الفعلِ، وإن كان المآلُ هو المنعَ من الفعل، فإنَّه لَمَّا منعَ الجنَّةَ على ذاتِ المشركِ؛ أفاد عمومَ المنعِ، أي: مِنْ دخولِها وشمِّ رائحتِها، وأيِّ أمرٍ مِنْ أحوالِها، ولو قالَ: (حرَّم اللهُ عليه دخولَ الجنَّة)؛ لجازَ أنْ يكونَ قريبًا منها مِنْ غيرِ دخولٍ فيها[1].

سرُّ الإظهار في موضعِ الإضمار:

تربية المهابة عند السَّامعين بذكرِ الاسم الأحسن (الله)

جاء الكلامُ على خلاف مقتضى الظَّاهر في إظهارِ الاسمِ الأحسن (اللهِ) في قوله تعالى: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ في موضع الإضمار؛ وذلكَ لتهويل الأمر وتربية المهابة عند السَّامعين[2].

دلالة تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾:

الجنَّةُ لا تكونُ لغيرِ الموحِّدين

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ على المفعولِ به ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾؛ لتخصيصِ تحريم الجنَّةِ بمَنْ يشركُ باللهِ تعالى؛ للإشعارِ بأنَّ الجنَّةَ لا تكونُ لغيرِ الموحِّدين.

بديعُ الطِّباق وبراعةُ العطفِ في قوله: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾:

في الطِّباق تكميلٌ حسنٌ للجمعِ بينَ حرمانِهم الجنَّة وابتلائهم بالنَّارِ

وردَ الطِّباقُ في الاسمين ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ و﴿ٱلنَّارُۖ﴾، وفيه تكميلٌ حسنٌ؛ إذْ لو اقْتُصِرَ على ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾؛ لاحْتَمَلَ الكلامُ حرمانَهم الثَّوابَ من غيرِ ابتلائِهم بالعقابِ، فلمَّا كان المرادُ الجمعَ بينَهما؛ أُتِيَ بِهما على سبيل الطِّباقِ، كما أنَّ في الجمعِ بينهما تبكيتًا وتقريعًا وإدخالًا للحسرَةِ عليهم بالخسرانِ المبين؛ إذْ حُرموا الجنَّةَ، وكان مأوَاهُم النَّار.

(1) القونوي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 7/527.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/66.

مناسبة التَّذييل في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

لَمَّا وصفَ اللهُ تعالَى النَّصارى بأنَّهم كفروا، ثُمَّ وصفهم بأنَّهم أشركوا؛ ذَكَرَ وصفًا ثالثًا لَهُمْ، كأنَّه مرتَّب على ما قبله، فأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُم بِكُفْرِهِم وقولِهم القولَ القبيحَ وبإِشْرَاكِهِم باللهِ قد تَجَاوزوا، وَوَضَعوا الشَّيْءَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فاستحقُّوا أن يُوصَفُوا بالظُّلم؛ إِذْ جَعَلُوا مَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ في الْعَقْلِ وَاجِبًا وُقُوعُهُ، وأُطْلِقَ الظُّلمُ، ولم يُقيَّد؛ ليُشْعِرَ بأنَّهم ظَلَمُوا أنفسَهم وغيرَهُم، وَفِي ذَلِكَ رَدْعٌ لَهُمْ عَمَّا انْتَحَلُوهُ فِي حَقِّهِمْ مِنْ دَعْوَى أَنَّ عِيسَى عليه السلام إِلَهٌ[1].

استحقاقُ الاتِّصافِ بالظُّلمِ لمنْ كفرَ باللهِ تعالَى وأشركَ بهِ سُبْحَانَه

دلالة (ال) في قولهِ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾:

أفادت (الـ) الاستغراقَ، ويدخلُ فيهِ الَّذين قالُوا مقالة الكفرِ، وأشركوا باللهِ تعالَى في جعلِ عيسى إلهًا، دخولًا أوَّليًّا.

دلالة حرف الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

أفادتْ ﴿مِنْ﴾ النَّصَّ على استغراق النَّفي وتأكيدَ نفي أيِّ نصيرٍ لجميعِ الظَّالمين؛ إذ إيرَادُ النَّكرةِ في سياق النَّفْي يجعَلُ الكلامَ ظاهرًا في العُمُومِ، فلمَّا دخلت ﴿مِنْ﴾ نقلَتْهُ مِن الظُّهورِ إلى النَّصِّيَّةِ في العُمومِ.

بلاغة وضع الظَّاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

وُضِعَ الظَّاهرُ موضعَ المضمر، فقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، ولم يردِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وما لهم مِن أنصار)؛ تسجيلًا على أنَّهم ظلموا بالإشْرَاك، وعدَلُوا عن طريق الحقِّ، والمعنى: فَلَا نَاصِرَ لَهُم، وَلَا مُسَاعِدَ فِيمَا افْتَرَى وَتَقَوَّلَ، وَلَا مُنَجِّيَ مِنْ عَذَابِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ[2].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/329.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/138.

نكتة التَّعبير بالأنصار جمعًا في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾:

التَّنبيهُ على شدَّةِ ظلمِ النَّصارى وعظيم كفرهم

لَمَّا كانت النَّكرة المفردة تفيد العمومَ في سياق النَّفي؛ دلَّ على أنَّ مجيء الأنصار جمعًا لنكتةٍ، هي التَّنبيهُ على شدَّةِ ظلمِهم وعظيم كُفْرِهم، فلا ينفعهم اجتماعُ كلِّ مَن يَتَوَهَّمُون أنَّه سَيَنْصُرُهم، وفيه - أيضًا - التَّنبيهُ علَى كونِ النَّصارى يتكَّلون على كثيرٍ من الرُّسُلِ والقدِّيسينَ أنَّهم يَنْصُرُونَهم عندَ الله تعالَى[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكفر والشِّرك:

الكافرُ أَعَـمُّ من المُـشْـرِك، فكلُّ مشركٍ كافرٌ

لَمَّا كان الكُفْرُ بِمَعْنَى: السَّتْرِ؛ أُطْلِقَ على جحُودِ الوحدانيَّة والنُّبوَّة والشَّريعة، والكفرُ خصالٌ كثيرة: فقد يكون كفرًا بالنُّبوَّة أو بالصَّلاة أو بالزَّكاة أو بإنكار القرآن، أو بالإلحاد أصلًا، وكلُّ خَصلة منها تضادُّ خصلةً مِنَ الايمان؛ لأَنَّ العبدَ إذا فعلَ خَصْلَة مِنَ الكُفْرِ؛ فقد ضيَّع خَصلةً مِنَ الإيمَانِ، ولَمَّا كان الشِّرك في أصل معناه أن يُوجَدَ شيءٌ لاثنين فصاعدًا؛ أُطْلِقَ الشِّرك على من يُشرك بالله في إيجاد الكونِ، أو من يعتقد أنَّه يوجد إله مع الله، ثمَّ توسَّع فيه؛ فأطلق على من يعتقد بوجودِ إلهٍ غير الله تعالى، فالشِّرك خصلة واحدة، وهو ادِّعاءُ إلهٍ مع الله أو دونَهُ، واشتقاقه يُنْبِئُ عن هذا المعنى، ثُمَّ كَثُر حتَّى قيلَ لِكُلِّ كُفْرٍ: شركٌ، على وجه التَّعظيم له والمبالغة في صِفَتِه، ونقيضُ الْكُفْرِ بالله: الإيمَان، وإنَّما قيل لِمُضَيِّع الإيمان: كافرٌ؛ لتَضْييعه حقوقَ الله تعالى، وما يَجِبُ عليه من شُكْرِ نِعَمِه، فهو بِمَنْزِلَةِ الكَافِرِ لها، ونقيض الشِّرك في الحقيقة: الإخلاص، ثُمَّ لَمَّا استعمل في كلِّ كُفْرٍ؛ صارَ نقيضُهُ الإيمانَ، والوصف بالكفرِ والشِّرك أعظمُ من الوصفِ بأحدِهما؛ لجمعِه بينَ الجحودِ والإشراكِ، فيستحقُّ صاحبه أن يكون من الظَّالمين.

(1) رضا، تفسير المنار: 6/401.

وخلاصة الفرق بينهما: أنَّ الشِّرْكَ: كُفْرٌ بوحدانيَّة اللّه وَعَدمُ إِخْلاصِ الْعِبَادةِ له سُبحانَهُ، والْكُفْر: يُطْلَق على الشِّرك؛ لأنَّه جحود بالوحدانيَّة، ويُطلق على من يُكَذِّبُ بالنُّبوَّة وَعَلَى من يُكَذِّب الشَّريعة، فالكافر أَعَمُّ من المُشْرِك[1].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 220، والراغب، المفردات: (شرك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»